

## الشكلائية الروسية وأثرها في حلقة براغ

الأستاذ: عبد القادر رحيم

قسم الآداب واللغة العربية

كلية الآداب واللغات

جامعة محمد خيضر - بسكرة

الشكلائية الروسية حركة نقدية قادها مجموعة من الطلبة الشباب (\*) في روسيا، تأسست بين عامي ( 1915 - 1916 )، نتيجة اتحاد تجمعين علميين هما: حلقة موسكو ( M L K ) وجمعية دراسة اللغة الشعرية التي تسمى اختصارا ( أوبوجاز ) ( OPJAZ )، و قد كان من أهم أعضائها رومان جاكوبسون ( Roman Jakobsson ) ( 1896 - 1983 )، و يوروي تنيانوف ( Yuri Tinianov ) ( 1894 - 1943 )، و بوريس إخبانوم ( Boris Eichenbaum ) و بوريس توماشفسكي ( Boris Tomachevsky ) ( 1890 - 1957 ) .

والشكلائية في الأصل لقب (\*\* ) ألصقه خصوم الشكلائين بهم (1) ، إذ أكدت معظم الكتب التي تناولت تاريخ هذه المدرسة أنّ النقاد الإيديولوجيين المنبهرين بالفكر الماركسي الناشئ، هم الذي نبزوا الشكلائين بهذا اللقب، لاعتقادهم أنّ ما جاءت به هذه الحركة من أفكار و حوادث خطر عليهم، و على الثورة البلشفية برمتها، و في هذا يقول: تروتسكي ( Trotski ) في كتابه " الأدب و الثورة " : " إذا ما تركنا جانبا الأصداء الضعيفة التي خلفتها أنظمة إيديولوجية سابقة على الثورة، نجد أنّ النظرية الوحيدة التي اعترضت الماركسية في روسيا السوفياتية، خلال السنوات الأخيرة، هي النظرية الشكلائية في الفن " (2) وأما الشكلائية (\*\*\*) في المفهوم الشائع، فحركة نقدية " أخذت على عاتقها مهمة علمنة الدراسة الأدبية " (3)، انطلاقا من مبدئين اثنين هما: (4)

- **المبدأ الأول:** و لقد لخصه جاكوبسون قائلًا: ليس الأدب هو موضوع علم الأدب وإنما هو الأدبية ( Littéarité )، أي ما يجعل من أثر ما، أثرا أدبيا، و بذلك حصروا اهتمامهم في نطاق النص.

**المبدأ الثاني:** و يتعلق بمفهوم الشكل، فقد رفضوا رفضا قاطعا ما كانت تذهب إليه النظرية التقليدية من أنّ كل أثر أدبي ثنائية متقابلة الطرفين، هي الشكل و المضمون، و أكدوا أنّ الخطاب الأدبي يختلف عن غيره ببروز شكله.

و إضافة إلى هذين المبدأين، فإن للشكلانيين رؤى عملية صارمة، أكدوا عليها و عدوها أساس مذهبهم النقدي، و في مقدمتهما:

- تشديدهم على الأثر الأدبي، و أجزاءه المكونة، بغض النظر عن كل ما يحيط به.  
- إلحاحهم على استقلال علم الأدب. (5)

- مقتهم الشديد للنزعة التاريخية، التي جعلت من مؤرخي الأدب في نظر الشكلانيين أشبه " بالشرطة التي تفكر في اعتقال شخص " (6)

- عدُّهم الصورة الأدبية خلقا لرؤية خاصة بالشيء، و ليست مجرد تعبير عنه أو انعكاسا له. (7)

- إقصاؤهم للمعنى، إذ ليس له في رأي الشكلانيين شأن يذكر، و في هذا يقول جاكوبسون: جوهريا، نحن نتعامل مع الحقائق اللفظية و ليس مع الفكر. (8)

- إقصاؤهم للرؤية النفسية و التاريخية و الاجتماعية إقصاء مطلقا، على اعتبار أن هذه الرؤى من اختصاص العلوم الإنسانية الأخرى. (9)

هذا و قد ظل الشكلانيون على منهجهم، يقاومون " النزوع الإيديولوجي " (10) طيلة عقد و نصف من الزمن ( 1915 - 1930 )، حيث كانت سنة 1930 بداية لنهايتهم، و ذلك عندما دخلوا في صراع مرير " مع الماركسية انتهى بجنوحهم إلى الصمت " (11) أولا، ثم إلى التشرذم و الانقسام ثانيا.

بعد انهيار الشكلائية في روسيا بفعل الضغط الشيوعي انتقل ميراثها إلى تشيكوسلوفاكيا، و تحديدا إلى العاصمة براغ، حيث أسس مجموعة من اللغويين الشباب - يؤمهم العالم التشيكي فيلام ماثيزيوس ( Vilém Mathesius ) - حركة براغ اللغوية عام 1926، متكئين على خبرة رومان جاكوبسون و نيكولاي تروبتسكي و سيرغاي كارشفسكي ( S. Karcevski ) الفارين حديثا من روسيا و المحملين بالزاد الشكلائي الوفير .

ولا شك أنّ هذه الخبرة التي بدأت تؤتي أكلها ابتداء من سنة 1928- و هو تاريخ انضمام هؤلاء الثلاثة رسميا إلى حلقة براغ - هي التي مهدت في السنة نفسها لانعقاد أول مؤتمر دولي لعلماء اللغة في لاهاي، شارك فيه أعضاء الحلقة بورقة بحثية ضمت " جملة من المبادئ الهامة" (12) ، سموها ( النصوص الأساسية لحلقة براغ اللغوية )، و من المشاركين في هذا المؤتمر، زعيم الحلقة فيلام ماثيزيوس، و رومان جاكوبسون، و كارشفسكي وتروبتسكي وموكاروفسكي.

بعد هذا المؤتمر بعام واحد، أي في عام 1929، قدم أعضاء هذه الحلقة الجزء الأول من مجموع دراستهم اللغوية بعنوان ( الأعمال )، و ذلك في " مؤتمر فقهاء اللغة السلافيين " (13) الذي تبين من خلاله أن للحلقة مبادئ محددة تقوم عليها، سنحاول حصرها في النقاط الآتية:

- 1- التركيز على الجانب الوظيفي للغة، على اعتبار أنّ البنى " النحوية و الدلالية والفونولوجية للغات تحدد بالوظائف المختلفة التي تقوم بها في المجتمع " . (14)
- 2- التأكيد على الدراسة الوصفية للغة، و الابتعاد قدر المستطاع عن الجانب التاريخي.
- 3- الاهتمام بدراسة علاقة المتكلم بكلامه، أي النظر في وظيفة الكلام و كيفية التعبير عنها. (15)
- 4- التأكيد على نظام الكلية أو الشمولية في التحليل، و ذلك بأن تشمل الدراسة مستويات اللغة جميعها، الصوتية و الصرفية و النحوية و الدلالية.

5- إيلاء الشعر و عروضه عناية خاصة " باعتباره فنا عالميا يمكن أن يصل إلى

البشر عبر الموسيقى الشعرية، برغم اختلاف اللغات ". (16)

هذا و يمكن أن نشير إلى أنّ لأعضاء الحلقة فضلا و سبقا في أمرين مهمين هما:

- ابتداء مصطلح ( منهج بنيوي ): إذ يعد موكاروفسكي أول عالم لساني في تاريخ

النقد الحديث يستعمل هذا المصطلح، و ذلك في مداخلته التي ألقاها في مؤتمر

لاهاي عام 1928. (17)

- اقتحام مجال الدراسات الصوتية: إذ يعود الفضل في ذلك إلى رومان جاكوبسون

الذي قدم " أول دراسة منهجية في تاريخ الأصوات اللغوية " (18) عام 1930.

و عليه يبدو جليا حجم الجهد المبذول من قبل أعضاء هذه الحلقة، في سبيل علمنة

الدراسة الأدبية من جهة، و الخروج بها من المأزق الشكلي الصرف، الذي وضعتها فيه

الشكلانية الروسية من جهة أخرى.

(\* ) لم يتعد سن أغلبهم العشرين سنة.

(\*\* ) لا يكون اللقب في كلام العرب إلا للقدح أو المذمة، و مما يثبت ذلك قول الله تعالى: "

وَ لَا تَتَّابِرُوا بِالْأَلْقَابِ " و قول الشاعر:

أَكْنِيهِ حِينَ أَنْادِيهِ لِأَكْرَمِهِ \* \* \* \* \* وَلَا أَلْقِبُهُ وَالسَّوْءَ اللَّقْبُ ( أبو تمام، ديوان الحماسة، شرحه

وعلق عليه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2009، ص: 210.

(1)- تودوروف و آخرون: نظرية المنهج الشكلي، تر: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث

العربية، بيروت، لبنان، الشركة المغربية للنashرين المتحدنين، المغرب، ط1، 1982، ص: 9.

(2)- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(\*\*\*) يسمى الشكلانيون أنفسهم المورفولوجيين، و هو الاسم الذي اختاره إخبناوم. ينظر:

احمد حسن، في المناهج النقدية المعاصرة، دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط، المغرب،

ط1، 2004، ص: 95.

(3)- الولي محمد، مقدمة كتاب: الشكلانية الروسية لفكتور إيرليخ، المركز الثقافي العربي،

الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص: 05.

- (4)- تودوروف و آخرون، المرجع السابق، ص: 10.
- (5)- ينظر: فيكتور إيرليخ، الشكلانية الروسية، تر: الولي محمد، ص: 14.
- (6)- تودوروف و آخرون، المرجع السابق، ص: 35.
- (7)- شايف عكاشة، نظرية الأدب في النقاد الجمالي و البنيوي في الوطن العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ج3، ص: 05.
- (8) ينظر: وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، ص: 110.
- (9)- محمد عبيد صالح السبهاني، المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص: 34.
- (10)- صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، بيروت، لبنان، 2002، ص: 70.
- (11)- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع، الجزائر، ط1، 2002، ص: 118.
- (12) صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص: 108.
- (13) فيصل الأحمر و نبيل دادوة، الموسوعة الأدبية، دار المعرفة، الجزائر، ط1، 2009، ج2، ص: 378.
- (14) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (15) محمد صغير بناني، المدارس اللسانية في التراث و في الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 2001، ص: 60.
- (16) فيصل الأحمر و نبيل دادوة، المرجع السابق، ص: 383.
- (17) مؤيد عباس، البنيوية، ص: 67.
- (18) صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص: 108.